

الأشهر والأعوام. لم يفتن لأسباب ذلك أول الأمر، وإنما ضاق به وشكا منه. وحاول أن يطبَّ له فلم يفلح. ثم أصبح ذات يوم وقد كُشِفَ عنه الغطاء، وإذا هو يرى نكراً من الأمر يملأ قلبه خوفاً، ثم لا يلبث أن يملأ قلبه يأساً، هذه المتاجر الجديدة التي أخذت تنشأ في المدينة على غفلة من أهلها لا يدرون كيف جاءت إليهم، ولا كيف استقرت فيهم، وإنما هو بناء يقام لا يعرف أهل المدينة من يقيمه ولا لمن يُقام، ثم ينظرون فإذا عمارة فخمة ضخمة قد ارتفعت شاهقة في السماء ممتدة في الفضاء، وقد أقبل عليها قوم غرباء جاءوا من القاهرة، فملئوها بضائع وعروضاً، وأحاطوها بألوان من الزينة والبهجة تدعو الناس وتغريهم بها، وإذا هم ينظرون ثم يقفون ثم يدخلون ويخرجون بعد ذلك، وقد تركوا ما كان معهم من نقد، وحملوا من السلع والعروض أشياء حُزِمَتْ لهم حزمًا حسنًا ليس مألوفًا في هذه المتاجر القديمة التي توارثها الأبناء عن الآباء، وأغرب من هذا أن هذه المتاجر التي أخرجها الشيطان من الأرض لا تقتصر على لونٍ بعينه من البضائع أو ضرب بعينه من السلع، وإنما هي تبيع كل شيء. متجر واحد يعدل جميع متاجر المدينة، أي غرابة في أن يفتن الناس بهذا الجديد ويتهاكوا عليه ينفقون فيه أموالهم ويقتضون منه حاجاتهم؛ فأما علي وأصحابه ومتاجرهم هذه القديمة القذرة المهملة النائمة، فعليهم وعليها العفاء.

كذلك أحسَّ ذات يوم أنه لن يستطيع أن يثبت لهذه الشياطين الجديدة التي هبطت على المدينة لتفقر أغنياءها وتُدَلَّ أعزَّاءها، وتأخذ ما فيها من مال، فتحمله إلى شياطين أخرى تقيم في القاهرة أو في مدينة أخرى غير القاهرة، وقد تحدَّث علي بذلك إلى بعض أصحابه التُّجار، فإذا هم يرون مثل ما يرى، ويجدون مثل ما يجد، ثم لا يملكون، كما أنه لا يملك، إلا أن يضربوا يداً بيد ويقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، حسبنا الله ونعم الوكيل، ثم سعوا إلى شيخهم، وتحدثوا إليه في ذلك، فإذا هو يرى مثل ما يرون، ويجد مثل ما يجدون، ويقول كما كانوا يقولون: لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، حسبنا الله ونعم الوكيل، ثم يحدثهم عن أشرار الساعة، ويذكرهم بأيام الله، ويعظمهم فيبغض إليهم الغنى ويحبب إليهم الفقر، ويؤكد لهم أن أكثر أهل الجنة من الفقراء، وأن أكثر أهل النار من الأغنياء الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم.

وكذلك عملت حياة علي في ماله وتجارته، وعملت في ماله وتجارته هذه الشياطين التي انقضَّت على المدينة كأنها الجراد، وإذا إحساسه بالضيق يكثر ويشد، وإذا هو